

آية المودة

وعلاقتها ب (الإمامة)

الدكتور
طه حامد الدليمي

II



الطبعة الأولى
عمان
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
حقوق الطبع محفوظة





□□ الحمد لله رب العالمين ، اللهم صلِّ وسلِّم على الهادي الأمين ، نبينا محمد ، وعلى آله .. أصحابه وأتباعه أجمعين .
وبعد ..

✦ فهذه رسالة صغيرة في مبناها ، كبيرة في فائدتها ومعناها ، تناولت فيها الحديث عن الآية التي يسميها الشيعة بـ (آية المودة) ، وبيّنت مدى دلالتها على ما ذهبوا إليه من اعتقاد بأن (الإمامة) أصل من أصول دين الإسلام ، بل هي أصل الدين ، والحد الفاصل بين إيمان المؤمنين وكفر الكافرين ، بنيتها على المنهج القرآني في بيان الأصول وإثباتها .

✦ والله I وحده أسأل أن ينفع بها كاتبها وقارئها في الدنيا والآخرة ، إنه هو السميع العليم .

المؤلف

□□ إن أصول الدين وأساسياته التي انبنى عليها لا يصح أن تكون في طبيعتها قابلة للخطأ والصواب ، وإلا فسد الدين واختل من الأساس لأن أصوله صارت ظنية مترددة بين أن تكون حقاً وأن تكون باطلاً ، وما ذلك بدين ؛ فإن الدين مبناه على القطع واليقين .

✳ وإذن يجب أن يكون الدليل الأصولي مما لا يمكن أن يتطرق إليه الخطأ ، أو الاحتمال بأي حال من الأحوال ، وليس من مصدر بهذا الشرط إلا القرآن الذي تعهد الله I بحفظه بنفسه .

✳ لكن آيات القرآن تنقسم – كما قال I - إلى قسمين :

١ . قسم صريح لا يحتمل إلا معنى واحداً هو الآيات المحكمات .

٢ . وقسم يحتمل وجهين مختلفين فصاعداً هو الآيات المتشابهات .

✳ فيجب أن يكون دليل الأصل من قسم الآيات الصريحة المحكمة ، ولا يصح أبداً أن يكون من قسم الآيات الظنية المتشابهة ؛ ولذلك ذم الله I اتباع المتشابه والاعتماد عليه فقال : [... فَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ] بعد أن قال : [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ] (آل عمران / ٧) .

✳ وهكذا صارت أصول الدين مصونة عن احتمال الخطأ لسببين : أولهما أن كل آية محفوظة من التحريف لفظاً ، فإذا كانت صريحة محكمة كانت محفوظة من التحريف معنى .

✳ هكذا ثبت أصل التوحيد و نبوة محمد p وغيرهما من أصول الاعتقاد ، كذلك الصلاة والصيام وبقية أركان الإسلام ،

وكذلك الانتهاء عن أصول المحرمات كالقتل والزنا والكذب ... الخ دون لجوء إلى رأي راءٍ ، أو رواية راوٍ ، فلا تأصيل بمعزلٍ عن محكم التنزيل .

✘ وقبل أن نناقش الآية ودلالاتها على (الإمامة) من عدمها ، يجب أن نعرف أن الخلاف في (الإمامة) خلاف في مسألة أصولية إذ يعتقد الإمامية أنها كالنبوة أصل من أصول الدين ؛ من جده كفر ، وبما إن (الإمامة) جعلت كذلك فيجب إذن أن تكون النصوص القرآنية المثبتة لها محكمة أي صريحة قطعية في دلالتها ، وليست متشابهة أي ظنية محتملة ، وإلا بطل الاحتجاج بها .

✘ فهل هذه الآية الكريمة محكمة في دلالتها على (الإمامة) ؛ حتى يصح بها الاحتجاج ؟ أم هي ظنية متشابهة ؛ فيكون الاحتجاج بها لا مستند له إلا الجدل واللجاج ؟ هذا ما سنراه في الصفحات التالية .

نقض الاستدلال

بالآية الكريمة على

(الإمامة)

□ الآية الكريمة

✳ يقول I : [ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ] (الشورى / ٢٣) .

□ الآية متشابهة وليست محكمة

✳ ونحن نسأل : أين الدليل ؟ في أي مقطع أو كلمة من النص !
إن هذا النص غايته أن يكون متشابهاً ، أي محتملاً لموضوع الاحتجاج ، ولغيره .

✳ والاستدلال بالمتشابه لا يصلح في الأصول ، دون النص المحكم الصريح الذي ينص على المراد . وهذه الآية ليست صريحة الدلالة على ما ذهب إليه الشيعة من القول بـ (الإمامة) ؛ فبطل الاحتجاج بها على ما ذهبوا إليه .

✳ إلى هنا ينتهي الجواب طبقاً للمنهج القرآني في الاستدلال الأصولي ، وبه يتم نقض استدلال الشيعة بالآية الكريمة على (الإمامة) . وما عداه مما سيأتي فاستطراد وفضول من باب زيادة الفائدة . ليس أكثر .



□ أربع دعاوى مستحيلة الإثبات

✳ إن هذه الآية لا يصلح الاحتجاج بها على موضوع (الإمامة) إلا بعد إثبات أربع دعاوى ، أو اجتياز أربعة موانع مستحيلة الاجتياز . وهي :

- ١- أن النبي p كان يسأل على دعوته أجراً .
- ٢- وهذا الأجر هو المودة : أي (الإمامة) .
- ٣- والمودة في القربى : أي الأقارب .
- ٤- والأقارب هم علي وحده . أو هو وفاطمة والحسن والحسين .

وهذا كله غير ممكن للأسباب الآتية :

١ . الفرق اللغوي بين (القربى) و (الأقارب)

✳ حين نعرف المعنى اللغوي للفظ (القربى) ، والفرق بينه وبين لفظ (الأقارب) ، ندرك أن الآية من الأساس لا علاقة بينها وبين الدلالة على الذوات أو الأشخاص . فإن كلمة (القربى) في لغة العرب معنى ذهني ، هو القرب في النسب ، وليست ذاتاً أو شخصاً . مثلها كمثل كلمة الشجاعة والعلم . فكلمة الشجاعة لا تدل إلا على معنى ذهني ، وكذلك كلمة العلم . ولا تدل - بأي حال من الأحوال - على شخص أو ذات خارج الذهن . فإذا أريد التعبير بهذه الألفاظ عن الشخص ، فإما أن تضاف إلى كلمة (ذي) فيقال : ذو قربي وذو شجاعة وذو علم . وإما أن يتغير بناؤها الصرفي فيقال : قريب أو أقارب ، وشجاع وعالم . وإلا بقيت معان ذهنية لا علاقة لها بالتعبير عن الأشخاص أو الذوات .

✳ جاء (في مختار الصحاح) للرازي :

(القرابة) و (القربى) : القرب في الرحم وهو في الأصل مصدر تقول : بينهما (قرابة) و (قرب) و (قربي) و (مقربة) . وهو قريبي وذو (قرابتي) وهم (أقربائي) و (أقاربي) .
والعامة تقول : هو قرابتي وهم قراباتي أ . هـ .

✳ إذن لو أراد الله تعالى الحديث عن أحد بعينه لكان قد قال :
[**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي ذَوِي الْقُرْبَى**] ، وليس (فِي الْقُرْبَى) مجردة .
كما جاء ذلك في مواضع عديدة من القرآن كقوله تعالى :

[**وَبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى**] (البقرة/ ٨٣) . ولم يقل :

والقربى .

[**وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى**] (البقرة/ ١٧٧) . ولم يقل :

القربى .

[**وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**] (الإسراء/ ٢٦) . ولم يقل : القربى .

وقد تضاف هذه الكلمة (القربى) إلى (أولوا) ، بدل (ذوي)

و (ذي) . كما في قوله تعالى :

[**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى**] (النساء/ ٨) . ولم يقل :

القربى .

[**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا**

أُولِي قُرْبَى] (التوبة/ ١١٣) . ولم يقل : (قربى) .

✳ فلو أراد الله تعالى أقارب النبي ﷺ لقال : (قل لا أسألكم عليه

أجراً إلا المودة في ذوي القربى) . لكنه لم يقل ذلك . وإنما قال : (

إلا المودة في القربى) ؛ فبطل الاحتجاج بالآية لبطلان أساسها

وسندها اللغوي . ولا بناء بلا أساس .

٢ . تعدد أقارب النبي ﷺ

✳ لو افترضنا جدلاً أن (القربى) تعني الأقارب فما الذي

يجعلنا نقطع بحمل المعنى على علي وحده - أو هو وفاطمة

والحسن والحسين رضي الله عنهم فقط - وأقارب النبي ﷺ كثيرون

!؟ ولا يمكن تفسير الآية بما فسرها به الشيعة ، ما لم يكن المعنى مقصوراً على المذكورين آنفاً ، دون بقية الأقارب . وهذا لا مسوغ له غير التحكم العاطل عن الدليل . بل لو كان ثمة دليل لما لجأ الشيعة إلى هذه الطرق المعوجة في الاستدلال .

٣. انعدام العلاقة اللغوية بين (المودة) و (الإمامة)

✳ عند الرجوع إلى الضوابط العلمية نجد أن (المودة) لا تعني (الإمامة) في أي حال من الأحوال : لا لغة ولا اصطلاحاً . يقول تعالى :

[وَلَئِن أَصَابَكُمُ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا] (النساء/٧٣) .
[وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى] (المائدة/٨٢) .

[وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] (العنكبوت/٢٥) .

[وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً] (الروم/٢١) .

✳ ولا علاقة بين (المودة) في هذه الآيات وبين (الإمامة) . فلا معنى للاحتجاج بالآية عليها !

✳ إن آيات القرآن كلام . والكلام له قواعد لا يصح إلا بها ، أولها أن يكون المعنى المقصود مما يصح تفسير الكلام أو اللفظ به لغة . والاحتجاج بهذه الآية على المطلوب الذي هو (الإمامة) مبني على قاعدتين هما :

أ . أن (القربى) تعني الأقارب لغة . وهذه القاعدة تبيين انهيارها .

ب . أن (المودة) تعني (الإمامة) . وهذه منهارة من الأساس .

وكل بناء منهيار القواعد ، فهو منهيار لا يمكن أن يقوم . وقد قال تعالى : [فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ] (النحل/ ٢٦) .

هذا كله فيما لو كانت المسألة فروعية !

✳ أما إذا كانت أصولية فالأمر أشد ؛ لأن القاعدة توجب (أن يكون المعنى المقصود مما لا يصح تفسير اللفظ إلا به) ، وليس (مما يصح تفسير اللفظ به) فقط . وهذه يعني أن النقاش في المسألة لا يصلح من البداية .

٤ . أن النبي p لم يكن يسأل على دعوته أجراً

✳ وذلك أمر مقطوع به بنص الكتاب . يقول تعالى :

[وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ]

(يوسف/ ١٠٤) .

[قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ نَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ] (

سبأ/ ٤٧) .

[قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ] (

ص/ ٨٦) .

✳ وإذا لم يكن النبي p يسأل أحداً على دعوته أجراً إلا الله،

بطل الموضوع من الأساس؛ لأنه مبني على أن النبي p كان يسألهم أجراً ، هو (إمامة) علي . وهذا مخالف لما ثبت قطعاً في القرآن من أنه لم يكن يسأل على دعوته أجراً . هذا من ناحية .

✳ ومن ناحية أخرى فإن المطالبة بالأجر ثمناً لشيء لا يكون

إلا بعد قبول المشتري شراء ذلك الشيء . وإلا ما كان له أن

يطالب بثمنه .

✳ إن الآية خطاب موجه للكفار الراضين لدعوة النبي p

أساساً . فما هو وجه المطالبة بأجر مقابل ، ثمناً لها ؟ وهذا الأجر

هو (إمامة) علي؟ وعلي يومئذ صبي صغير ! فهل قبلوا النبوة
أولاً؟ حتى يطالبوا ب (الإمامة) ثانياً؟!

□ معنى الآية :

✳ ولعل سائلاً يسأل عن معنى الآية؟ فنقول : إن معنى الآية
هو : قل لا أسألكم على دعوتي أجراً أو مالاً . وإنما غاية ما أسألكم
هو أن تودوني لقرايتي منكم ، فتصلوا ما بيني وبينكم من القرابة
والرحم ؛ فتحفظوني وتحسنوا معاملتي ولا تؤذوني ، فإن هذا مما
لا ينبغي بين الأقارب وذوي الأرحام .

✳ وهذا ليس أجراً على الدعوة ، وإنما هو حق مشروع مترتب
على لقربي ، لا قدح ولا عيب في سؤاله ، أو المطالبة به ؛ لأن
سؤال الحق حق .

✳ إن مودة القربى وصلة الرحم واجبة على الأقارب وذوي
الأرحام . وذلك ما لم تكن قريش ترعاه مع رسول الله ﷺ .

✳ والاستثناء هنا منقطع غير متصل: وهو الذي لا يكون
المستثنى داخلاً ضمن المستثنى منه ، كقوله تعالى: [**لَا يَسْمَعُونَ**
فِيهَا لُغُؤًا إِلَّا سَلَامًا] (مريم/ ٦٢) . والسلام (وهو المستثنى) لا
يدخل ضمن (المستثنى منه) وهو اللغو . فيكون معنى الآية : لا
يسمعون فيها لغوا ، لكن يسمعون سلاما .

✳ وكذلك (المودة) لا تدخل ضمن الأجر . ومعنى الآية : لا
أسألكم عليه أجرا ، لكن أسألكم المودة في القربى . لأن النبي ﷺ لا
يسأل على دعوة أجراً .

✳ وللآية معنى آخر دقيق ، مروى عن ابن عباس عن النبي
ﷺ هو : لا أسألكم أجراً إلا أن تودوا الله تعالى ، وأن تتقربوا إليه
بطاعته .

✦ فالمودة هنا هي مودة الله جل وعلا . والقربى التقرب إليه بطاعته . ويؤيد هذا المعنى الدقيق قوله تعالى: [**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا**] (الفرقان/٥٧) . فإن مودة الله والتقرب إليه هو معنى اتخاذ السبيل إليه تماماً .

□ كذبة صلحاء

✦ يقول أحد علماء الشيعة ، وهو إبراهيم الزنجاني الموصوف عندهم بـ (ركن الإسلام وعماد العلماء الأعلام) (١) : « روى الجمهور في الصحيحين ، وأحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال م : " علي وفاطمة وابناهما " » (٢) . وهذه كذبة شنيعة !! ودعوى كاذبة !! إذ لا وجود لهذه الرواية في واحد من الصحيحين . ولا مسند الإمام أحمد !!! ✦ بل الموجود في صحيح البخاري ومسند أحمد خلاف هذا تماماً ! وأما مسلم فلم يتطرق إلى الموضوع البتة . فقد روى البخاري أن ابن عباس أنكر على سعيد بن جبير تفسيره الآية بقربى آل محمد م وقال له : « عجلت إن النبي م لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » . ورواه الترمذي باللفظ نفسه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن ابن عباس . ورواه أحمد بلفظ « إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم » .

(١) الخوئي / في أول الكتاب السابق .

(٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية / ٨٦ .

✦ ولم يكن البخاري ولا مسلم ولا أحمد بذلك المستوى بحيث يروون شيئاً مرفوضاً عقلاً ولغة . فالآية مكية . والحسن والحسين رضي الله عنهما لم يولدا إلا في المدينة بعد الهجرة !

✦ واستعمال لفظ (القريبى) و (القرابة) في الأقارب من استعمال العامة . أي هو استعمال عامي غير فصيح . وذلك لا يكون في لغة القرآن ، أو لغة النبي p . أو الصحابة لأنهم عرب أقحاح . وسعيد بن جبير ربما أتى من قبل أعجميته . فهو مولى ، وليس عربياً .

✦ فواضع هذه الرواية كذاب جاهل لا يعرف كيف يكذب ! ونسبتها إلى مصادر خالية منها من قبل عالم يوصف بأنه (ركن الإسلام وعماد العلماء الأعلام) افتراء عظيم لا يليق بعامة الناس . فكيف بعالم؟! إن (عالماً) له مثل هذه الجرأة على الكذب لحري بأن يسمى - هو ومن يوثقه - بدلاً من ذلك بـ (ركن الكذب وعماد الدجل) .

□ وحجة عمياء

✦ ويقول هذا الزنجاني أيضاً : « وجوب المودة يستلزم وجوب الإطاعة لأن المودة إنما تجب مع العصمة » (١) . وهذا ادعاء محض لا أثر للعلم عليه ! فما علاقة المودة بالعصمة (وجوبا) أو استحبابا !

✦ يقول تعالى : [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً] (الروم/ ٢١) . فالزوج يود زوجته ، وكذلك الزوجة . ولا علاقة لهذه (المودة) بالعصمة أو

(١) المصدر نفسه .

الطاعة المطلقة . والصديق يود صديقه . ولا علاقة لذلك بكل ذلك !

ويقول : [عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً] (الممتحنة/٧) .

ويقول كذلك : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ] (الممتحنة/١) .

ويقول : [وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى] (المائدة/٨٢) .

✳ وقد أوردت هذين المثالين لأبين الكيفية التي يتم بها احتجاج علماء الشيعة بآيات القرآن ، و لي أعناق النصوص ، من أجل أن يجعلوها دالة على ما يهون ويرغبون . حتى ولو ارتكبوا في سبيل ذلك مجازفات لا تليق بعامة الناس ، فكيف بمن يدعي العلم ، وينسب إلى طائفة العلماء؟! وبهذا يظهر أن آيات القرآن الكريم لا تدل على ما يقولون . ولو كانت كذلك لما اضطروا إلى مثل تلك المجازفات التي هي بالفضائح أشبه منها بالأخطاء .

✳ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله أصحابه وأتباعه أجمعين .

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	تمهيد في حجية الاستدلال بمحكم القرآن ومتشابهه
٩	نقض الاستدلال بالآية الكريمة على (الإمامة)
٩	الآية متشابهة وليست محكمة
١٠	استطراد لزيادة الفائدة
١٠	أربع دعاوى مستحيلة الإثبات
١٠	١- الفرق اللغوي بين (القريب) و (الأقارب)
١٢	٢- تعدد أقارب النبي ρ
١٢	٣- انعدام العلاقة اللغوية بين (المودة) و(الإمامة)
١٤	٤- أن النبي ρ لم يكن يسأل على دعوته أجراً
١٥	معنى الآية
١٦	كذبة صلحاء
١٨	وحجة عمياء

